حول مقال

مدام دى سان بوان

بين يدى وأنا أكتب هذه الكلمة مقال طويل كتبته «مدام دى سان بوان» بعنوان (التعليم الأولى وضرره الذى يلحق بالأمم)

والسيدة المذكورة كاتبة شهيرة دقيقة فى أبحاثها واسعة فى معارفها تزيدها مكانة مقدرة كلماتها الدائمة ترد بها سهام المغرضين عن الشرق والشرقيين وتجادل بها أولئك المتهجمين الذين يرمونا بالجمود الشائن والقعود المعيب

وهي فوق ذلك رئيسة فى مجلة مشهورة تصدر فى القاهرة باللغة الفرنسية، فنحن إن حمدنا لها دفاعها الجيد عن النهضة النسوية الشرقية لا يجدر بنا أن نغفل ما تقول بلا كيل ولا وزن

ولعل لنا فى سعة صدرها ما يحفزنا على نقل كلامها عن التعليم الالزامى من لغة الخصم لماكر الذى يصطنع الأيمان بالحق فى دفاعه إمعانا فى المزيد من التأثير على عواطف المحكمة لتتبين أن الحق لا يخذله فلم، ولا يلوى به لسان، وأن قضيته لا يعزه كلم ولا ينصره بيان

تقول السيدة «كيف لا يكون خلابا بيد الأمية ويمحو أثرها من سجل الوجود. الحق أنه مضر جدا ذلك التعليم الذى يزعم أنه يدعو إلى إطلاق العقول بدون فرق بين غبيها وذكيها - وتوسع المدارك بتعلم القراءة والكتابة، إنه لمضر ذلك المنهاج الذى غرتنا طلاوته كما غرتنا مئات الدعوات إلى الولائم وكانت نتيجتها الخيبة والفشل»

ويخيل إلينا أن السيدة الفاضلة استقت معلومات ناقصة عن منهاج التعليم الالزامى فى جميع أطواره أو نقلت عن إشاعة كاذبة أو مصدر جاهل ذلك المنهاج، وإلا فما بالها ذكرت أن التلميذ يتعلم القراءة والكتابة وأغفلت بقية المعارف الأخرى التى يتعلمها تلميذ المدارس الالزامية من قرآن كريم ودين وتهذيب وتربية اجتماعية وقواعد وتطبيق وإنشاء ومحفوظات وحساب ورسم وهندسة وتاريخ تقويم بلدان وصحة وأشياء وتربية بدنية»

ولعل من المستحسن أن أذكر للسيدة طرفا مما يحتويه المنهاج وليكن ذلك فى علم «التربية الاجتماعية» وهو ثمرة «السيكولوجيا» التى يدعو إليها علماء «اليوجنيه» وزعماء «الملكية» الحديثة - ولنفتح المنهاج عن هذه المادة فيكشف لنا عن دراسة الفضائل الآتية: الأسرة والأهل والأقارب، الوطن بمحبة الوطن من هم المواطنون. المملكة

التى تنتمى إليها . كيف تصير مواطنا صالحا . الملك رمز الوحدة الوطنية محبة . الملك . طاعة أولياء الأمر . طاعة القانون ـ العمل على رفع البلاد زراعيا وتجاريا واقتصاديا . واجبك كفرد فى المجموع . كيف تعاون بلادك . الصدق . الأمانة . العدل . الرحمة . الأدب حسن المعاملة . المحافظة على الوقت . أداء الواجب . التبكير فى العمل . إتقان العمل لاقتصاد . التنافس فى أعمال البر . المثابرة . الاستقامة . عدم . اليأس النخوة . الاتحاد التحلى بمكارم الأخلاق وهكذا . إلى آخر ما جاء مفصلا فى المناهج . وعليه يستقبل التلميذ لالتزامى بعد تخريجه ، حياته مزودا بالمعارف العامة التى لابد من استكمالها فى الرجل الذى يشعر برجولته ويعتز بقوميته

وتقول السيدة :«ونحن إذ نحاول الموازنة الصحيحة بين الأمين وبين المتعلمين فى عرف هذا المنهاج ، لرأينا البون شاسعا والفرق بعيدا ولخرجنا بنتيجة سيئة للغاية، ولكنها بكل أسف صادقة إذ ثبت لنا تماما أن الأمي يفوق مناظره المتعلم ويتبوأ فى مضمار العمل وما ذاك إلا لأن الأمي يعتمد على قواه الطبيعية واستعداداته الشخصية وغريزته النقية ووجدانه الفطرى الذى لم تعلق به شائبة فى الوقت الذى يعتمد فيه مناظره المتعلم على ما تلقاه من مبادئ، مصطنعة وعرفه من معارف واهية لا تقوم على دعامات صحيحة وأسس متينة إنما تقوم على زخارف من القول وترهات من الأباطيل

نحن لا نود أن نجادل السيدة فى أشياء قد تطول دون جدوى وندع الدكتور «جون . ب . وطسن» الأستاذ بجامعة (جونز هيكنز) وهو من زعماء «الملكية» يتولى الجواب عنا ونستمع له إذ يقول «إن الفكرة الشائعة اليوم عن الغرائز تعود فى أصلها إلى نظرية «دارون» فأن القول باشتراك الانسان مع الحيوان الأدنى منه فى الانحدار من أصول واحدة يحتم اشتراكها فى الكثير من أوجه التشابه الأخرى ويحتم أيضا أن نجد فى الانسان عددا من الغرائز يشابه الغرائز التى فى الحيوانات

ولكن «لادارون ولا جيمس» خطر لهما أن حقائق هذه المسألة قد تكون على خلاف ما تدراه دون أن تتنافر المسألة فى ذاتها مع نظرية «دارون» من حيث التسلل فالمولود الانسانى مادة غير مصنوعة من «البروتبلازم» قابلة للتكيف حسب الأيدى التى يقدر لتلك المادة أن تقع فى عنايتها وهذه القطعة من «البروتبلازم» تجيب كل مؤثر يصلها من الداخل أو الخارج وهذا هو الحجر الأساسى الذى يستند إليه علماء «الملكية» فى مذهبهم

وإلا فلماذا لا نجد كل أبناء الموهوبين موهوبين هم أنفسهم، بل نجد تلك المواهب مقصورة على بعض الأبناء دون البعض الآخر

أعطونا الطفل ونحن نكيفه حسب ما نريد ونرده إلى ألوان دقيقة النظام من مختلف الأعمال. إن أصابع أيدينا أكثر تكيفا للحركة من أصابع أرجلنا ولكننا نرى رجالا يكتبون ويخيطون ويديرون الآلات بأصابع أرجلهم فنحن لا ننظر إلى البناء التشريحي للجسم بل ننظر إلى التدريب اللازم لتنشئته فنستطيع أن نخرج الطفل براً أو فاجراً أو مدفعياً أو صائداً أو زارعاً أو صانعاً فاعطونا الطفل بدون يدين أو عينين أو أصم أو أبكم ونحن نخرجه لكي يكتب وينقش ويصطاد ويلعب الهوكي على الجليد ويحادثكم ويفهم منكم

هذا ما يقوله الأستاذ وطسن وهو عالم باحث مثبت لا يرمي الكلام على عواهنه ولا يرسل القول جزافا بدون استقراء ومقابلة وتجريب

ونرى أيضاً أن الكاتب الأمريكي المعروف الأستاذ «دورانت» في كتابه «صروح الفلسفة» يجعل العلم والتعليم في طليعة مراحل الارتقاء ويرى أن تجهيز المدارس وإعداد المعلمين من أهم ما تمتاز به العصور الذهبية في التاريخ والعمران

أما قول السيدة إن التلميذ الأزهري يلقن مبادىء مصطنعة لا تقوم على أساس صحيح بل تقوم على ترهات من الأباطيل، فذلك ما يجعلنا نردها الى صوابها ونلفتها إلى الكتب المقررة من وزارة المعارف لهذه المدارس وكفاية المعلمين المختارين لها وثقافة المفتشين الذين يفتشون عليهم أعمالهم حتى تعود إلى نفسها ونلتمس بدعاها عن الحق الذي يشعر به الأعمى كما يراه البصير، ونرى أنها بمنجاة من المعارف الصحيحة عن التعليم الأزهري

وتقول السيدة « أضف إلى هذا أن الأمي كثيرا ما يكون بعيداً عن محيط الحياة الذي يعج بالشرور البشرية والمساوىء الانسانية نالياً عما تحتمه عليه تقاليد المدنية الكاذبة ومنطق العصر الحديث . وأنت إذا رجعت إلى هذا المتعلم وبمعنى آخر إلى هذا الجاهل حقا، لرأيت ثم رأيت زهواً كبيراً وشراً مستطيراً وغروراً زائداً وصلفاً سائداً وليته يقف إلى هذا الحد

فمن سوء في النية إلى غدر في الطوية، ومن إنكار لحقوق الآخرين إلى جحود لواجبات الآخرين ، ومن بلاء يلحق المجتمع بسببه إلى سوس ينخر الأمة بعمله ، فقل لي بربك ماذا تستفيد الأمة من هذا الذي يخرج على تقاليد بيئته وينكر أساليب أمرته؟

والحق أننا نتورع أن نقابل هذا الكلام بما يرده الى صدر صاحبه صونا لها عن خش القول وهجر الكلام وإن كنا لا نعرف فيما قالت كلمة على صواب فحسبها أن ترجع إلى منشورات المعارف، ولجان التعليم وقوانين المدارس الأزامية ، لتعلم أنها جانبت الحق فيما ادعت واقترت على تلاميذ التعليم الأزامي فرية نستغفر لها الله منها ونرجو لها وجه الصواب فيها .

وبعد فانا نكيل الى السيدة فى كلمتنا هذه إجمالا بأجمال خشية التطويل الذى نعلم أن نطاق هذه المجلة لا يتسع له — أما نقض بقية مقالها وتفصيل إجمالنا، فسبيلنا اليه الاعداد القادمة إن شاء الله تعالى

هدانا الله الصراط المستقيم إنه على ما يشاء قدير

(كفر الزيات) محمد الصاوى عمار

تهنئة امير الصعيد

يرى القارىء فى «شؤون النقابات» نبأ عن التهنئة التى رفعها اتحاد التعليم الأزامى إلى العتبات الملكية بمناسبة تلقيب حضرة صاحب السمو الملكى الأمير فاروق بلقب «أمير الصعيد» وصحيفة التعليم الأزامى تتقدم الى السدة الملكية راقمة آيات التهانى ضارعة الى الله أن يكلأ سمو الأمير بعين رعايته